بنية الحوار في رواية (بين قلبين) للروائي (علي خيون) دراسة فنية

م.م ايمان حسين محيي

جامعة بغداد / كلية الهندسة / قسم النفط

الملخص :

جاء اختيار رواية الكاتب (علي خيون) ميداناً للبحث، لما تحمله روايته (بين قلبين) من تقنيات متماسكة لاسيما فيما يتعلق بالوصف والحوار بإستثناء تدخل الكاتب بين الحين والآخر في الرواية بالتحدث نيابة عن الأبطال واختراق عالمهم الخاص.

فقد اتخذ الكاتب من مدينة (بغداد) مكاناً للأحداث، ومن الحربين (العراقية الإيرانية) و(حرب الاحتلال) زمناً لسير الأحداث لتقدم في ضوئها مخلفات الحرب الاولى ونتائجها وانعكاساتها، لغاية الحرب الثانية (احتلال بغداد) من خلال شخصيات الرواية.

وقد اكتسب الحوار أهمية كبيرة في العمل الروائي لأنه الوسيلة السردية الذي تبنته الشخصيات لتعبر عن نفسها ومستوى تكوينها خاصة وبيان فعلها الروائي على وجه العموم.

وذهب الكاتب إلى توظيف عنصر الحوار لغايات مختلفة، منها التعبير عن الواقع النفسي والشعوري للشخصيات، ثم التعبير عن المستويات الفكرية باسلوب تمثيلي بدلاً من الاعتماد على السرد والوصف وحدهما وأبرز الحوار وضوح الرأي للشخصية الروائية وما يختلج في دواخلها من مشاعر وجدانية مكبوتة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ....

تعد الرواية من الموضوعات المهمة في ميادين الدراسات الأكاديمة الأدبية. فقد تعمق الأدباء بدراستها والوقوف على تقنياتها الفنية. إذ نالت الرواية على الصعيدين العالمي والعربي الحظ الأوفر في المجال الأكاديمي. أما في العراق تحديداً، فقد لعبت الرواية دوراً مهماً في الحياة العراقية الإجتماعية والثقافية. وحققت نقلة في تطورها الفني وترسخها في الأدب العربي لاسيما في العقد الأخير. إذ حاولت الرواية تأسيس مرحلة جديدة (مرحلة الوجع العراقي روائياً) والذي لمسناه بشكل جلي في البنية الروائية وطبيعتها السردية لأغلب الروايات في هذا العقد. فقد ظهرت الروايات متلائمة بخوفها وآلامها وطموحاتها وأمانيها مع واقع الإنسان العراقي، ذلك الواقع الذي عاشه الكاتب العراقي بكل قساوته واحلامه ويعد الكاتب (علي خيون) من القصاصين العراقيين الذين سلط النقاد الضوء على جهوده الروائية، حتى بدا اسمه لامعاً في عالم الرواية والقص في العراق.

وقد ارتأيت دراسة واحدة من تلك الجهود، التي تناولت الوجع العراقي في الآونة الأخيرة وهي رواية (بين قلبين) لما تحمله من تقنيات روائية متماسكة مجتزأة منها عنصر الحوار، الذي من خلاله نتعرف على بواطن شخصيات الرواية والفاظها المبطنة وهمومها وحزنها فضلاً عن مكنوناتها البشرية. لذلك يعد تقنية بالغة الأهمية في نسيج السرد الروائي، وهذا النسيج يختلف من كاتب إلى آخر ومن عمل إلى آخر أيضاً.

لهذا جاء البحث ليعنى بدراسة فنية لحوار (شخصيات الرواية) عبر دراستها وبيان ابعادها والكشف عن دلالاتها الفنية فجاءت دراستي بمدخل نتعرف فيه على مفهوم الحوار في الرواية مع بيان أهميته ووظائفه ومبحثين درست في الأول، الحوار الخارجي (المباشر وغير المباشر)، أما المبحث الثاني فاختص بدراسة الحوار الداخلي (المباشر وغير المباشر) والمناجاة.

التمهيد

الحوار "تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية."[1] كما يعرف بأنه "حديث بين اثنين أو أكثر تتضمنه وحدة في الوضوح والأسلوب"[2]. كما يعرف بأنه "حوار دراماتيكي في طبيعته لتبادل شفاهي بين شخصين أو أكثر". كما هو "خير اسلوب لمعرفة ورسم الشخصيات"[3] ويعد عنصراً مهما من عناصر الرواية، فهو يكشف عن الشخصية بصورة مباشرة وبلا وساطة.[4] ويكون فيه القاص قريباً من الناس، فيزيد من حيوية القصة، كما يعطي قيمة لعرض الإنفعلات والعواطف ويحل محل التحليل والتمثيل. وله دور في عرض الشخصية المتفردة ووجهة نظرها إزاء الأحداث والمواقف المحيطة بها.[5]

وللحوار وظائف متعددة:

1- "يضع الشخصيات وجهاً لوجه أمام القارئ، ويجعل من وجهة نظر القارئ بديلاً لوجهة نظر الراوي دافعاً هذا القارئ إلى الإيهام في خلق العمل الفني، بل إنه يظهر وتحل محله المناسبة والحدث وسلوك الشخصيات." [6]

2- الحوار عامل فعال وحاسم للتمييز بين الخطاب الروائي والخطاب الشعري، وهو تمييز يرقى إلى مستوى التباين بين جنسين أدبيين مختلفين تمايزاً جوهرياً.[7]

3- يعد الحوار من أهم الصيغ القصصية المهمة، فهو يكشف عن جوهر الشخصية القصصية وبدون تدخل الراوي. لذلك قيل إن الحوار هو الثرمومتر المماس للشخصية وابعادها ونموها وصراعاتها وجوهرها الروحي الإنساني.[8]

4- للحوار دور في تصعيد الأحداث في الرواية أو القصة وتقديمها ودفعها إلى الأمام باتجاه العقدة أو الحل.[9]

5- قدرة الحوار في كشف عنصري الزمان والمكان بوصفهما اطاراً للحدث أو الشخصية. [10]

ويقسم الحوار في الرواية على نوعين: الحوار الخارجي (المباشر وغير المباشر) والحوار الداخلي (المباشر وغير المباشر).

المبحث الأول

الحوار الخارجي المباشر وغير المباشر

وهو "الحوار الاكثر تداولاً في النصوص الروائية"[11] و"الإسلوب الذي يعمد فيه السارد إلى نقل كلام الشخصيات كما هو من غير تغيير في لغته ومضمونه، ويشمل افعال القول وعلامات الترقيم" [12]"لاسيما علامتا الاستفهام والتعجب، لما تحملانه من دلالة التقاطع والإختلاف بين الطرفين المتحاورين، ما يؤذن التحول وتطور الحدث الدرامي"[13] ان الحوارالصافي الجاري بين شخصين أو أكثرماهو إلا إسلوب سردي، يضفي على النص القصصي حساً درامياً متمثلاً بإلغاء دور الراوي (الوسط بين الشخصيات والقارئ) تاركاً الشخصيات تتحدث بمفرداتها وترسم ملامح الحدث القصصي.[14] ووظيفة هذا الحوارهو"إخفاء البعد الواقعي والإيجاز والوصف والتحليل"[15]. والحوار المباشر "نوع من الخطاب يتم فيه اقتباس منطوق الشخصية وأفكارها كما يفترض أن الشخصية قد كونتها وذلك لأنه نقيض الحوار غير المباشر"[16]. أما من ناحية توظيف بنية الحوار في تقدم الشخصيات فهو مشروط بقدرة الكاتب على اختياره للمفردات والعبارات الحوارية بشكل منسجم مع الشخصيات الفكرية والإجتماعية، لأن الحوار يجب أن يكون موضوعياً نابعاً من خلال ابعاد الشخصية التي يرسمها الكاتب والتي تصل إلى درجة من التركيز اللغوي والدرامي. [17]

فنلحظ في ثنايا المقطع الروائي حواراً خارجياً بين الخادمة والبطلة يكشف عن أزمة نفسية واجتماعية سببها الزوج لزوجته من خلال صعقها بنبأ الوريث الثاني (الابن) من زوجته الأجنبية، التي وافاها الأجل بمرض التدرن. فتظل البطلة أسيرة بكائها واحزانها على نفسها بعدما كانت أنموذجاً للزوجة المثالية الجميلة، التي انسخلت عن اهلها وفضلت الإرتباط به وهو فراش بسيط بلا مال فيقول الراوي على لسان الشخصية:

- "خدعني سنوات طويلة، أتعرفين، ماذا يعني أن تكوني غشيمة، نائمة تضحكين وتأكلين وتسافرين وتستقبلين الناس وأنت مخدوعة؟! حياتي أصبحت فارغة لامعنى لها..

فبكت صبرية وقالت من بين دموعها:

- يا عيني يا عمة.. يا عيني!

انتحبت، لكنها انتبهت لصحة المرأة، فقالت بذكاء:

- أنت يا سيدتي تملكين كل شيء، لم ينقصك شيء، ولن يؤثر في مكانتك أي تغيير. والله سبحانه عادل..هو قوي وعادل.

مطت المرأة شفتيها وقالت:

- لي ثقة بالله وما فائدة ما املك. أكنت أجمع الاموال وأقف وراءه لكي ينجح من أجل أن أدخر المال للقادم الغريب؟!

أجهشت بالبكاء واضافت بصوت مخنوق مبلل بالدموع:

- حفظت شرفه العمر كله. ووقفت إلى جانبه مثل حارس. كنت زوجته وأمه وأخته. حتى أهلي تركتهم من أجله وعاندت أخوتي، ارتبطت به وهو فراش بسيط بلا مال."[18]

فتلك المرأة المترفة الحياة، اصبحت في ليلة وضحاها، شخصية مهجورة ومعتمة يسود حياتها الفراغ والوحدة، فتشعر بأن سنوات عمرها الفائتة ما هي إلا لحظات من الوهم والخداع. فقد أوضح المقطع الحواري الذي دار بين الخادمة والزوجة عن عمق الأذى النفسي الذي سببه الزوج للزوجة فضلاً عن تدهور حالتها الاجتماعية والصحية، فالراوي عبر الحوار كشف للقارئ عن التغير الاجتماعي المفاجئ الذي صاحبه انهيار في المجتمع الأسري العراقي "فالحوار خدم الشخصية وكشف عن أعماقها وأبرز ما في غورها".[19]

وفي حوار خارجي مباشر آخر، دائر بين أكثر من طرف أو جهة، إذ يعمد فيه الكاتب على حصر الكلام بأقواس التنصيص، فيعرض لنا الراوي صورة أخرى من صور الألم والتأزم النفسي، من خلال الحوار الدائر بين الزوجة والشخصية (ليلى)، فعلى الرغم من وفاة الزوجة الثانية إلا ان شبحها ظل يطاردها كلما تذكرتها، فيعتصر قلبها وتنزف عيونها دماً، وتأخذها تساؤلات لمفاجآت أذهلتها، فيعتمل فؤادها وتتعاظم أوجاعها. فيقول الراوي:

- "انا بشر والمفاجأة أذهلتني.. اقصد الخيانة.

توقفت لحظة عن الكلام، بدت متناثرة وقالت لها:

- أريد علبة السجائر.

فقالت ليلى ضاحكة:

- ممنوع

سكتت المرأتان لحظة، وما لبثت ليلى أن قالت:

- اما زالت متأثرة حقاُ والمرأة الأخرى قد ماتت!

فقالت نجيبة بتأثر:

- شبحها يراودني، يؤلمني لأنه خانني معها.

فقالت ليلى بحذر:

- ولكنه تزوج على وفق الشريعة التي تبيح ذلك.

فالتفتت المرأة بعصبية مفاجأة وقالت:

- في السر؟! في الخداع؟! من أمر بذلك؟! لم يأخذ موافقتي!"[20]

فقد وصف القاص إسلوب الشخصية، ورغبتها في التدخين (سيجارة) للتعبيرعن غضب الشخصية و تأزمها النفسي. فضلاً عن توظيف المدلولات التعجبية والإستفهامية، التي جعلت القارئ يرصد الشخصية ويكشف عن توترها وقلقها. فخلق الراوي جواً نفسياً متأزماً يخبئ وراءه حزمة من الألم الموجع، وصور المأساة التي يعيشها مجتمعنا النسوي العربي والذي يكون نهاية مطافه الضياع الإجتماعي للعائلة بأسرها.

وقد يكون الحوار المباشر أشبه بعملية إخبارية، يسفرعن ظهور شخصية جديدة في الرواية، فيتغلغل الراوي في الحوار كاشفاً عن ابعاد تلك الشخصية ووضعها الإجتماعي والنفسي والإقتصادي.

"فقال زهير بأستغراب:

لم أذكر اسم شخص غريب، أنه ولدي فتحي. بالمناسبة رأيته في ليلة ميلاده يمنحني مفتاح بوابة كبيرة مغلقة، وفي الصباح فكرت أن اطلق عليه اسم فتحي. ولكننا نتلذذ بمشتقات الأسم فنطلق عليه فاتح تارة وفتوحي وفتاح تارة أخرى ولأننا هناك لاننطق الحاء فهو فتهي وفتاه وفاته! وضحك وحده، ضحكة ! أشبه بسعل جاف ، لكن المرأة التي تجهم وجهها كسماء امحت صفاءها غيوم ثقيلة سألت بجفاء:

وما المطلوب ؟

قال وهو يزدرد ريقه بصعوبة:

ان يأتي ليعيش معنا .. فاسفاري قلت عن السابق، وفتحي عاش تعساً بعد أن خذلته زوجته في طيش ورعونة ولعلي افلح في اعادتها إليه فهي صاحبة اموال ونفوذ في الخارج."[21]

ويرصد الراوي عبر التحاور قضية أخرى من قضايا الواقع العراقي المعاش وهي قضية النفاق السياسي الذي كان يشهدها الشارع العراقي انذاك، الاحتفالية المزيفة التي تخبئ وراءها آلاف الحسرات والآلام. فالبطل ابن ذلك الواقع وهو يعترف بنفسه انه يلعب دور المنافق السياسي الذي تدفعه مخاوفه على مصالحه الشخصية إلى تجديد البيعة للحكم البائد معبراً عن ولائه لذلك الحكم، باقامته حفلة في يوم البيعة نفسه معلناً عن نفاقه السياسي الذي يشبهه بالكذب الأبيض على الزوجه الطيبة لكسب مودتها. فعبر الحوار يسلط الراوي الضوء على زوجة البطل التي تجزم بأن زوجها منافق من خلال ثلاث علامات تطابقه: الحديث الكاذب والخيانة ومخالفة الوعد. فيقول الراوي على لسان الشخصية:

- "المناسبة ستكون في الخامس عشر من هذا الشهر .. أعني تشرين أول 2002.

فقال زهير بذكاء:

- لتكن الحفلة في ليلة إعلان النتائج

قالت المرأة باستغراب:

- ستبدو منافقاً

ضحك زهير وهو يعيد الكأس من فمه لئلا يغص بالشراب وقال:

- النفاق السياسي هنا مثل الكذب الأبيض الذي يجوز على الزوجات الطيبات لكسب مودتهن!

فقالت نجيبة:

- ايها الماكر الكذاب!
- لست كذاباً بل مجاملاً..

فقالت نجيبة:

- الصحيح انك منافق..

قال ساخراً ومجارياً لها:

- كيف عرفتي؟!

فقالت:

- لأن علامات المنافق الثلاث منطبقة عليك يا عزيزي..الحديث الكاذب ومخالفة الوعد وخيانة الامانة."[22]

ففي المقطع الروائي يطلعنا الراوي على قضية مهمة من قضايا الحرب الآسية (الفقد والفقيد) وما خلفته تلك القضية من مشاعر اليمة تغلغلت في نفوس العوائل العراقية.

فمن خلال التحاور الدائر بين البطلة ورفيق خطيبها في الحرب يكشف لنا الراوي عن الأبعاد الوجدانية لحالة الفتاة الممزوجة بلوعة الفراق وامل اللقاء. فيصور مشاعرها اللائبة جراء طول انتظار دام سنوات عدة، وهي تقطع خيوط امل اللقاء بيقين الغياب دون عودة. فيموت الأمل بداخلها وتبقى أسيرة احزانها وهمومها فيقول الشاب:-

- "هذه أوراقه..

عاد الى مقعده وأضاف:

- ظلت معي أكثر من ستة اشهر لأن وحدتي بعد الإنسحاب، استقرت في محافظة الكوت، ولم يتسن لي المجيء إلى هنا.. وآمل أن تعذريني!

سحبت الفتاة، قطعة منديل ورقي، ومسحت دموعها وسألته:

- أتظنه حياً؟! قل لي صراحة ما مصيره؟!

فقال الشاب بتحفظ شديد:

- إنه مفقود!
- ما المقصود؟!
- هنالك عدة احتمالات .. قد يكون حياً في مكان ما، وقد يكون غريقاً لم يسعفه احد.. وربما..

فقاطعته الفتاة:

- إنه يعرف السباحة جيداً

فاغرورقت عينا الشاب على نحو مفاجئ ونهض في شرود وهو يغمغم:

- ربما عاد على نحو مباغت" [23]

فقد اسفر لنا هذا المقطع الحواري حالة التردد والتحفظ التي يعانيها ذلك الشاب الذي لايرغب بالبوح للبطلة (خطيبة الفقيد) عن موته، تدفعه عوامل نفسية وذاتية تقف حائلاً بينه وبين ما يعتلج في دواخله من احداث اليمة، فضلاً عن افساح المجال لكشف الاحداث للقارئ، فجعلته يرصد الاحداث اللاحقة بسبب اقتران الحوار بالشخصية. فقد كان لها دوراً في كشف رؤيتها والوقوف على خلجاتها النفسية.[24]

إذ تحدث الكاتب عن مضامين الحرب في بعدها الإنساني والإجتماعي، وما تركته من آثار نفسية مدمرة على الشخصية العراقية، فها هي الحرب، فضلاً عن الاثر الكبير للحروب القاسية في حياة الانسان، لا سيما في حياة النساء، وما جلبت لهن من مصائب كنساء.[25]

الحوار الخارجي (غير المباشر)

يختلف الحوار غير المباشر عن المباشر، إذ يعمد فيه السارد الى نقل حوار الشخصيات بإجراء تغيرات في تراكيبه اللغوية فيصوغه (الحوار) بنفسه ويدخله في سياق كلامه، فتختفي نبرات الشخصيات (التأثيرية والتعبيرية). [26] وهو "حواراً مستقلاً عن خطاب الراوي من الناحية التلفظية في حين أن غير المباشر يرجع إلى قائل واحد هو الراوي الذي يقول ما قالته الشخصية بلسانه"[27].

فقد يمارس الحوار غيرالمباشر مظاهر اللغة غيرالمنطوقة في الخطاب القصصي. من خلال وصف تعبيرات الوجه وحركات الجسد كاشفاً عن ابعاد الشخصية وتحديد صوتها مما يتلائم مع الاجواء الحكائية. فيصور حالة البطلة وهي تتفحص جسد أخيها، الذي ابتلعت نيران الحرب المأساوية ذراعه، فترى أمامها شاباً معاقاً معطل القدرات، تعلو علامات التعب والنحول وجهه وجسده. فيقول:

- "اخي انور حمد لله على سلامتك.

لكنها تراجعت قليلاً الى الخلف، لان يدها اليمنى لم تمسك بذراعه اليسرى، قالت وهي تتفحص جسده:

- اين ذراعك؟!

فنقل نظرة باردة حزينة من وجهها الى كم القميص الفارغ الذي دسه تحت الحزام، ومضى إلى كرسي قريب وجلس فقالت:

- لم نعلم بالذي حصل لك ولم تعلم بالذي جرى لنا؟!

فهز رأسه بتعب، وأسرعت فصبت له قدح ماء، انتظرت حتى شربه، وهي تتأمل وجهه النحيل، وجسده الذي فقد نصف وزنه:

- أين كنت؟! لقد تأخرت، ولم نكن نعرف اين نسأل عنك، فالطرق مغلقة أو خطرة بين المحافظات والوقود شحيح كما تعرف. هناك ازمة محروقات في البلد.

هز رأسه مؤيداً وقال :

- انها قصة طويلة، لامعنى لروايتها لك.

فقالت تذكره بمأساة العائلة وهي تجهش بالبكاء:

- فقدنا والدنا يا أنور، ضربوا مقراً رسمياً يجاور منزلنا فتهدما معاً

فقال بقلب ثابت:

- لكثرة الذين رحلوا بين يدي لم يعد الموت يخيفني."[28]

فقد سلط الراوي الضوء على ذراع البطل المبتورة، كي تصبح مركز الاستقطاب البصري وتثير انتباه المتلقي لذلك الشاب المعطل القدرات، فجاء تركيزه على حضور حركة الرأس تعويضاً عن فقدان آلية النطق المتعذرة.

ويقيم الراوي نوعاً من الحوارية بين الماضي والحاضر، جاعلاً الحاضر يدين الماضي السحيق. فيرسم لنا الحوار صورة نجيبة المفعمة بالثراء والنعمة ويكشف عن مستواها الإجتماعي من خلال مدلولات تعبر عن ثراء الشخصية ومستواها الإجتماعي.

" تمرغت نجيبة في الثراء والنعمة، فكانت حياتها ذهباً وسفرات وصداقات مع عوائل عريقة، وصلات مع نساء نافذات، وهي وحدها التي تعرف بداية زوجها المتواضعة، لكنها امحت كل ما يذكرها بذلك التاريخ المتواضع البسيط، ومع ذلك فان الأمر حتى لو قيل علناً فأن احداً لن يصدقه، فمن يعقل أو يصدق ان زهير الماجد، بدأ فراشاً في دائرة هندسية فرعية."[29]

المبحث الثاني

الحوار الداخلي المباشر وغير المباشر

الحوار المباشر يشكل هذا الحوار احد التقنيات التي يفيد منها القاص في عرض قصته وسير احداثها "وهو ذلك النمط من المونولوج الداخلي الذي يقدم فيه المؤلف الواسع المعرفة مادة غير متكلم بها، ويقدمها كما لو انها كانت تأتي من وعي شخصية ما، هذا مع

القيام بارشاد القارئ ليحدد طريقه خلال تلك المادة وذلك عن طريق التعليق والوصف." [30] فهو "حوار غير مسوغ ولامنطوق يستمد طاقته التعبيرية من قدرة الراوي على تسجيل الجو الباطني لشخصياته وهي تؤدي حدثاً معيناً، حتى يستطيع الراوي استبطان الذات ورصد ومضات الوعي وتدفقاته إزاء موقف في الحياة استدعاءً أو تصوراً او تركيباً."[31] ويعرف بأنه "العرض المستقل الذي لا يتدخل فيه وسيط لأفكار الشخصية وانطباعاتها وتصوراتها. فهو نوع من الفكر المباشر والطليق".[32]

وقد حظي المونولوج بتقسيمات عديدة: " المعروض: وهو حوار الشخصية وباطنها من غير افتراض وجود متلقٍ ما، ويمتاز بعرض السارد له، كما هو، وبترابطه التركيبي والدلالي – بلسان الشخصية . والمنقول: الذي ينقله السارد لنا، بلسانه وبلغته، محافظاً على مضمونه . بلسان السارد .

والمصاغ وهو حوار الشخصية وباطنها ، يعاد صوغه وتركيبه بحسب مراد ولغة السارد ولا يحافظ فيه على لغته ومضمونه الاصليين، وذلك بسبب اهتمام السارد الصريح وتحريفه للغة ومضمون هذا الحوار."[33]

ولايشترط ان يكون الحوار مسموعاً وإنما يكتفي فيه احياناً بالهمس والتفكير والتذكر لذلك يطلق عليه اسم (monologue) وبعضهم يضيف إليه نعتاً هو (الداخلي) وعربه بعضهم فسماه (مناجاة).[34]

فهو "شكل للحوار الصامت عن طريق نقل الراوي لكلام الشخصيات الروائية فيصوغها باسلوبه الخاص، فيمتزج صوتان في الجملة في آن واحد هما صوت الراوي الخارجي وصوت الشخصية".[35]

والمونولوج هو "خطاب توجه النفس الى ذاتها" [36] والحوار مع الذات يضع المتلقي لتأمل النص وخلف أبعاد أخرى للشخصية، فيشعر القارئ بالرغبة بمرافقته بجولة حالمة وشيقة عبر الخيال. [37]

ويكشف لنا الحوار الداخلي عبر اللحظات الإسترجاعية، الخبايا الداخلية والخارجية للشخصية. فهو دميم الخلق، عاطل عن الجمال، يعاني من الرفض الاسري والاجتماعي، كونه ابن الزوجة الثانية الأجنبية. فعلى الرغم من دمامته الا انه ملفت للنظر، فهو شخصية مثقفة ذات حضور مؤثر، دبلوماسي التفكير، واثق بنفسه لدرجة تشبيه نفسه بالماس.

"كانت تفكر وتبتسم، هذا الدميم يشبه نفسه بالماس، ما اشد ثقته بنفسه، سلاحه الوحيد هو انه ابن زهير. لم أقل له أنني اعرف اللغة الانكليزية من دراستي في الصيدلة، غاب عنه ذلك، وها هو يتحدث فأعرف ما يدور في نفسه، و لعل ما يقلقه هو مقاومة نجيبة، نجيبة تؤذيه، تناديه ابن ماري.. تقهره بالصمت والمقاطعة، حتى صبرية قبل أن تختفي بالأثاث المسروق"[38]

ومن نبرة التحاور الداخلي، تكشف لنا البطلة عن طعنة الرفض التي تلقاها حبيبها رياض في قلبه عندما طلبها للزواج من والدها نتيجة الفارق الأسري بين (رياض وعصام) فقد وظف الراوي الحوار ليضعنا أمام القيود الأسرية التي تتعرض لها المرأة في المجتمع نتيجة الفارق الطبقي بين الأسر. فهي تخضع لقيم وعادات اخلاقية موروثة تجعلها تتنحى للظروف القسرية فتدفعها للتسليم والرضا فتقول:

"لم أكن جاهلة، ولكن حبيبي تلقى طعنة نجلاء، فراح يلعق جراحه ولم يعد، أتريد ان يعود اليك متوسلاً وقد أهنته، ها هو ذا زهير يعود اليك ثلاث مرات بعد كل مرة أرفض فيها ابنه، حتى صار الأمر محرجاً مزعجاً لرجل يعتذر من صديق امتدت علاقتهما معاً لأكثر من ثلاثين عاماً." [39]

فيأتي حوار الشخصية مع ذاتها ليكشف عن حالة النسيان المتعمد الذي أفصحت عنه البطلة فسرعان ما اندثرت ذكريات رياض الجميلة مع القصر المنيف والسجاد الأعجمي والحلي التي ملأت صدرها فلم يبق من ذاكرة البطلة لرياض سوى ابتسامة هادئة.

وقد استعان القاص بوسيلة فنية أخرى لتعبر الشخصيات عن نفسها من خلالها وهي الرسائل [40]، فيبرز صوت الشخصية كما في المقطع الحواري "أنا هنا فقط، احذركم مما وقعت فيه في ساعة غفلة، حين سمعت الشيطان يعظ، فأنصت له، وقد لاتفعلوا ما فعلت، لكن حذار أن يزين الشيطان لكم اعمالكم .. آه ما ضر لو تركتم الغنائم واحتفظتم بما كتب أبي ؟!" [41]

فقد أخذ الحوار صدىً صوتياً واسعاً في المجال السمعي من خلال تعبيرات والفاظ صارخة (انا هنا فقط) (ساعة غفلة) كلها مدلولات قصدية توحي بلوم النفس وساعة الندم التي كانت ضريبتها حاضر غادر ومستقبل باهت.

وتستمر التساؤلات المشوبة بحرقة ووجع "هل فرطت برياض؟ لم يغادر ذاكرتي، ولم أنسه لحظة واحدة، ويوم ارتبطت بعصام، شعرت أن رياض يدعو لي بطيبة متناهية: يحفظك الله" [42]

الحوار الداخلي (غير المباشر)

هو ذلك "التعبير عن مشاعر أو افكارالشخصية الباطنية الذي ينقله السرد لنا ضمن سياق كلامه، إذ ينقله لنا عبر ضمير الغائب، إذ ان السارد يستعمل ضمير الغائب في الزمن الماضي هو الذي ينقل لنا حوار الشخصية ليوهم بها المتلقي بأن الشخصية هي التي تتحدث وتتحرك"[43] وهذا الامر يعتمد على صوت الراوي وتأثيره على المتلقي. ويختلف عن المباشر من حيث "خلوه من علامات الترقيم، كذلك خلوه من أفعال القول وظهور بعض الصيغ الإنشائية كالتعجب والاستفهام".[44]

ونرصد هذا النوع من الإسلوب إذ يتدخل الراوي في صوت البطلة الداخلي، كاشفاً عن بعض التفصيلات الجزيئية المختصرة، كالانشغال الأسري الذي جعل البطلة تنغلق على نفسها متخذة من كتاب الله أنيساً لوحدتها ورفيقاً لدربها.

"اهتدت في محنتها الى كتاب الله سبحانه الذي كان معها على الدوام، يؤنس وحدتها، فوالدها مشغول بمحاضراته صباحاً ومساءً وبتلك الدراسات العليا التي تستنزف وقته بين دراسة بحوث الطلبة وتقييمها ومناقشتها، وانور لا يكاد يتواجد في البيت بسبب طبيعة عمل ضابط الجيش في القواعد الجوية المترامية على طول العراق وعرضه."[45]

ويمارس الراوي تدخله في الشخصية وترقبها للزمن من خلال رصده لحركاتها ولحظات القلق والحيرة التي تنتابها، المصحوبة بتساؤلات واستفهامات تجهل إجابتها.

"وحين تخطت الساعة الحادية عشرة مساءً تأكدت إنه لن يعود، ففي هذه الساعة، يحظر التجوال في بغداد، انتابها قلق عليه، لم تحدد مصدره على نحو دقيق، أهو شعور بالوحدة؟! أهو الشوق لعصام؟! أهي رغبة في الزواج؟! أم هو التوق لجديد مغاير وكسر لسياق حياة رتيبة منذ ثلاثة عشر عاماً جافة قاسية؟!" [46]

وهذا مقطع آخر يعرضه لنا الراوي عبر تدخله في بواطن الشخصية. معبراً عن قلقها وخوفها من الشخصية السلبية المتعايشة معها من خلال العبارات الإستفهامية والتعجبية ومن خلال التكثيف والإيجاز التي أجمعها القاص. فيقول الراوي:

"وحثت خطاها وهي تقول لنفسها:

لابد من العودة قبل استيقاظه .. من يعدل اعوجاج ذيل الكلب"[47]

المناجاة

للحوار الداخلي وسائل اخرى لتشخيص الحدث وربطه بمعطيات القص ومن تلك الوسائل (المناجاة) أو (مناجاة الذات) أو (مناجاة النفس). وهي "تكنيك آخر لرواية (تيار الوعي)، يقوم بتقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية للشخصية مباشرة من الشخصية إلى القارئ، وكما هو معروف أن رواية تيار الوعي هي الرائدة في إشاعة مثل هذه الأساليب في الحوار"[48]. وتعتمد المناجاة على تقديم الشخصية لمحتواها الذهني إلى المتلقي بشكل صريح من غير حضور المؤلف ومع افتراض وجود جمهور سامع افتراضاً صامتاً دون التنويه بذلك.[49]

وقد تضمنت رواية (علي خيون) الكثير من المونولوجات، منها ما نلحظه من موقف الأب مع ابنته التي جلبت له العار، فهيأت له نفسه قتلها خشية الفضيحة. فبعد قتل ابنته الوحيدة، يقوم الأب بمناجاة الرب راجياً منه المسامحة والغفران. فيأتي الحوار الداخلي كاشفاً عن التساؤلات والحيرة التي تشتت ذهنه وافكاره فيفصح عن موقفه فيقول:

"سامحني يارب ... انت عالم بما حدث... هيأ لها الشيطان الرجيم ابن زانية فحبلت وجلبت لي العار ... لا أعرف كيف أداريه، اغفر لي ...وانتقم ممن كان السبب.. انك عادل جبار شديد البطش!"[50]

فعبر المونولوج مكننا الرواي من النفاذ إلى بواطن الشخصية، محاولاً الكشف عن القهر الاجتماعي المسلط على المرأة، فضلاً عن العنف الذي تتعرض له، فعلى الرغم من حجم التطور الاجتماعي والثقافي الذي نالته المرأة في الآونة الاخيرة، الا ان هناك قيماً متجذرة وموروثة لايمكن للمجتمع الشرقي التحرر منها والتغاضي عنها.

وتفتح البطلة حوارها الداخلي بعبارات استفهامية ومناجاة الهية مثلت مدى التشتت الذهني والفكري الذي وصلت اليها الشخصية. وهي تتلوى ألماً وحزناً وتترقب عودة الغائب الذي مثل المحور الأساس بحوارها الذاتي، ذلك الفقيد الذي ترك اثراً نفسياً، جعلها أسيرة حزنها وآلامها. فالصراع النفسي الذي عاشته البطلة، وضع لها حاجزاً بين عالمها الداخلي (البطلة) والعالم الخارجي (الناس) فتقول:

"كم مضى على ذلك؟! اثنى عشر عاماً
أو ثلاثة عشر عاماً.. يا الهي..أيرضيك هذا؟!

سنة تعقب سنة وانا الوذ بجرحي وألمي، كأنني أخشى نفسي وأخشى الناس، من الصيدلية إلى البيت ومنه إلى مكان عملي، لماذا عصام يا الهي؟ ولماذا كان الخيار ان يذهب على تلك الشاكلة الغامضة؟ ما اكذب تلك العجوز المنجمة، قالت انه سيعود، هذا هو كأنني أراه، شاب وسيم اسمر، طويل وعلى محياه ابتسامة. نعم هو، قلت لها ذلك، فقالت: سيأتي، أم يمت، وظلت العين تراقب سنة بعد سنة من دون جدوى".[51]

فالكاتب تغلغل في دواخل الشخصية لكي يبين عمق الإنتظار وتأثيره في المنتظر. فالفقيد الغائب لم يكن غيابه غياباً اعتيادياً لكنه غاب لأنه صاحب قضية فهو لم يبحث عن المال أو عن سر معين اذعن شخص بل من اجل الدفاع عن وطنه ضد المحتلين.[52] فالكاتب خلق لنا جواً وهمياً عبر تشبثها بخيوط المنجمين الواهية بأمل عودة ذلك الغائب.

وتستعيد البطلة ماضيها الغائب بلحظات استذكارية في حوار ذاتي يفصح عن الفراغ والروتين اللذين خلفهما ملل الحياة وسوداويتهما. فنرى البطلة تعود إلى ماضيها المفعم بحلاوة الأيام الجميلة بصفة الشاكي الاسيان المتدفق من الحب والوجد. وهي تدرك في قرارة نفسها بأن بقاء ذلك الحب ماهو الا لحظات خاطفة من السعادة لاتعود. فتقول البطلة على لسان الراوي:

"ترى أين أنت الان يا رياض الأمين؟! أشك في أنك نسيت تلك الأيام المتناثرة في ثنايا الذاكرة كقطع سحب بيض، وسواقي الآس، هل جفت بعد أن علمت بقصتنا، سأكون أمينة معك، نعم سأصدقك، فمم أخاف الآن، ثق يا رياض، دافعت عنك يوم وافق أبي بسرور بالغ على طلب يدي من قبل زهير الماجد لابنه عصام قلت له بضيق:

- ألم يتخرج عصام حديثاً
- فقال فرحاً مضخماً الكلمات:
- ولكنه ابن زهير الماجد يا جاهلة!"[53]

الخاتمة

بعد الاستقراء والتحليل يمكننا أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا اليها والتي سنوردها بالشكل الآتي:

1- استعان الراوي بالحوار الخارجي المباشر باحدى الاسايب الفنية وهي الرسائل كي تعبر الشخصيات عن نفسها.

2- ان الحوار بطريقة الحوار الخارجي(المباشر) هو النوع الطاغي في الرواية، فقد كان حضوره اكثر من غير(المباشر) .

3- أخذ الحوار الداخلي المباشر صدىً صوتياً في المجال السمعي من خلال تعبيرات والفاظ صارخة (انا هنا فقط) (احذركم) .

4- استخدم الراوي التكثيف والايجاز في الرواية وخاصة في الاسلوب غير المباشر الداخلي.

5- تناول عمق الأحداث بأسلوب سلس خالٍ من التعقيد والتضليل، يسهل على القارئ استيعاب اللحظات الأليمة كلها التي مر بها الشعب العراقي.

6- الانصراف والاهتمام بالشخصية المحورية، فنرى القاص يسلط الضوء على شخصية (ليلى) البطلة ويجعلها محوراً لسرد الاحداث.

7- جمعت الرواية بين الواقعية الإجتماعية والرواية التوثيقية التسجيلية، فنرى الكاتب عبر الحوار قد صور مخلفات الحصار الإقتصادي تارة وبشاعة الأحداث التي شهدها العراق (احتلال بغداد) تارة اخرى إلى يومنا هذا.

8- توظيف المدلولات التعجبية والاستفهامية، التي تجعل القارئ راصداً للشخصية وكاشفاً عن توترها النفسي.

9- تسلسل احداث الرواية، إذ استطاع الكاتب من تسلسل الاحداث تسلسلاً تصاعدياً منذ حقبة التسعينيات وآليات قهر الحصار الإقتصادي إلى سقوط بغداد 2003.

10- سلط الكاتب الضوء على الجانب الإنساني الوجداني، فتعمق في بواطن المجتمع وما يتمتع به من مشاعر إنسانية.

11- احتلت موضوعات الفقد والفقيد والغياب المصحوب بطول الإنتظار مكاناً في الرواية، وهذا يعود إلى ما يختلج في دواخل الكاتب من مشاعر وجدانية عكسها باللاوعي على كتاباته لأنه ابن هذه الارض وعراقيته متجذرة بدمه.

12- اقترب اسلوبه في الكتابة من أسلوب الراوية ميسلون هادي في موضوع الفقد والفقيد، فضلاً عن موضوع وحدة الإنتظار، لاسيما في قصتها القصيرة (رائحة الشتاء).

13- من خلال الحوار نرصد التقارب الوشيج بين أعمال (خيون) وعالمه الخاص فهو لصيق التجربة الشخصية، كونه ابن المجتمع العراقي فمن الطبيعي أن يعكس انطباعه وأحاسيسه على كتابته.

الهوامش

(1) معجم مصطلحات اللغة والادب، مجدي وهبة، 154

(2) غائب طعمة فرمان روائياً، د.فاطمة عيسى، جاسم ، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية العامة ط1، 2004 :47

(3) المصطلح السردي في النقد الادبي، احمد رحيم كريم، عمان ، دار صفاء للنشر، 2012: 405

(4) ينظر غائب طعمة فرمان روائياً، فاطمة عيسى :47

(5) ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق،ج3، شجاع العاني : 15

(6) ينظر م.ن :15

(7) الصوت الاخر(الجوهر الحواري للخطاب الادبي)، فاضل ثامر، ط1، 28-29

(8) ينظرهدية حسين روائية، نغم فلح حسن، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد،2012 :37

(9) ينظرالمراة في القصةالنسوية القصيرة،زينب عبد الرضا ، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،2001 :187

(10) ينظر م.ن:187

(11) البناء الفني في الرواية العربية / شجاع العاني : 15

(12) المصطلح السردي في النقد الأدبي ، احمد رحيم : 407

(13) اسلوبية القصة، دراسة في القصة القصيرة العراقية، د. احمد حسين الجار الله، بغداد ط1، 2013: 95

(14) ينظر/ م.ن :93

(15) القصة القصيرة عند ميسلون هادي، ايمان حسين محيي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، ط1، 2009: 88

(16) المصطلح السردي / معجم السرديات : 61

(17) ينظر/ اسلوبية القصة ، د. احمد حسين الجار الله: 95

(18) بين قلبين، علي خيون : 74

(19) المراة في القصة النسوية :194

(20) بين قلبين : 91

(21) م،ن : 68- 69

(22) بين قلبين، علي خيون: 49

(23) بين قلبين: 25

(24) الحوار في الرواية النسوية:95

(25) ينظر/ غائب طعمة فرمان روائياً: 50

(26) ينظر/ المصطلح السردي، احمد رحيم: 407

(27) الحوار في الرواية النسوية ، دعاء هيثم:95

(28) بين قلبين: 136-137

(29) م.ن: 38

(30) البناء الفني في الرواية العربية، شجاع العاني ،17

(31) غائب طعمة فرمان روائياً، فاطمة عيسى،50

(32) المصطلح السردي / معجم مصطلحات : 68

(33) المصطلح السردي في الادب والنقد:413-414

(34) القصة القصيرة عند ميسلون هادي،86

(35) الرؤية السياسية والاجتماعية عند غائب طعمة فرمان، ابراهيم احمد، دراسة فنية مقارنة، شازاد كريم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد،2006: 169

(36) المرأة في القصة النسوية القصيرة، زينب عبد الرضا، رسالة ماجستير، كلية التربية/ جامعة بغداد،2001 :194

(37) ينظر/ الحوار في الرواية النسوية، دعاء هيثم : 98

(38) بين قلبين، علي خيون: 34

(39) م.ن 144

(40) ينظر/ البناء الفني في الرواية العربية، شجاع العاني: 39

(41) بين قلبين،علي خيون : 197

(42) م.ن: 12

(43) المصطلح السردي في النقد الادبي : 407

(44) م.ن :407

(45) بين قلبين: 94

(46) م.ن: 141

(47) م.ن: 84

(48) الحوار في الرواية النسوية:106-107

(49) المصطلح السردي في النقد الادبي : 411

(50) بين قلبين : 34

(51) م.ن :107- 108

(52) ينظر/ عالم جليل القيسي (دراسة في فنه القصصي) ، خالد ياسين، رسالة ماجستير، كلية التربية / جامعة ديالى ، 2005 : 114

(53) بين قلبين : 143

المصادر والمراجع

- اسلوبية القصة، دراسة في القصة القصيرة العراقية، د. احمد حسين الجار الله، ط1، بغداد، 2013
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء المنظور)، شجاع العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، ج3، بغداد، 2012
- بين قلبين، علي خيون، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2015
- الحوار في الرواية النسوية العراقية (2003–2013)، دعاء هيثم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد، 2015.
- الرواية النسوية العراقية في الخارج (2003–2010)، غادة جمال مكي ، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد،2012
- الرؤية السياسية والاجتماعية عند غائب طعمة فرمان، ابراهيم احمد، دراسة فنية مقارنة، شازاد كريم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد، 2006
- الصوت الاخر (الجوهر الحواري للخطاب الادبي)، فاضل ثامر، ط1، بغداد، 1992.
- عالم جليل القيسي (دراسة في فنه القصصي)، خالد ياس، رسالة ماجستير، كلية التربية / جامعة ديالى، 2005
- غائب طعمة فرمان روائياً، د.فاطمة عيسى جاسم ، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2004.
- القصة القصيرة عند ميسلون هادي، ايمان حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، 2009
- المرأة في القصة النسوية القصيرة، زينب عبد الرضا، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، 2001
- المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، المجلس الاعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003.
- المصطلح السردي في النقد الادبي، احمد رحيم كريم، دار صفاء للنشر، ط1، عمان، 2012
- معجم مصطلحات اللغة والادب، مجدي وهبة

- المواقف النقدية (قراءة في نقد القصة القصيرة في العراق)، أ. كريم الوائلي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2 ، بغداد، 2007
- هدية حسين روائية، نغم فلح حسن، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، 2012.

Abstract

The choice of the writer's (Ali khayoon) novel was the field to research, because of what his novel carries from technical coherent including description and dialogue, except the writer's intervention every now and then in the novel by speaking instead of the hero and break through his special world .

The writer took from Baghdad city place of events, and from the two wars (Iran-Iraq) and (occupation war) time to course of events presenting through them the remnants of the first war and its results and reflections until the second war (occupation of Baghdad) through the characters of the novel.

The dialogue acquired great importance in the narrative work because it is the narrative means adopted by the characters to express their selves and their composition level in particular, and their narrative work field in general.

The writer went to employ the dialogue component for different aims, including the expression of the psychological and emotional reality of characters, and the expression of ideological levels in a representative style instead of depending on the narrative and description only.

The dialogue raised the opinion clarity of the narrative character and what it have within from repressed emotional feelings.